

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

رابطة العالم الإسلامي

كلية أصول الدين

الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرتة

مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

عنوان البحث :

معالجة مشكلة البطالة

من خلال السيرة النبوية

الدكتور / إبراهيم بن مهية

أستاذ محاضر بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة / الجزائر

تمهيد :

إن الناظر في المعنى الأولي لكلمة البطالة - سواء في اللغة أو الاصطلاح - سيحصل لديه يقين أن البطالة أمر منكر يرفضه الدين، ويلفظه الواقع، ويصدم المصلحة العامة، ويهدم اقتصاد المجتمع ... فلا يتوقع والحالة هذه من دين الحق - وهو الاسلام - إلا أن يدعو الجميع للمساهمة في استئصال هذا الداء العضال من جسم الجماعة المسلمة، بل وي طرح الحلول ويصف العلاج بشكل دقيق لا يدع مجالاً للشك في أن تعاليم الإسلام مناهضة للبطالة وأن البطالة مناقضة لتعاليم هذا الدين العظيم.

وللبداء في بيان هذه الحقيقة وجب علينا التعريف بهذا المصطلح - أي البطالة - :

ورد في لسان العرب : بطل الرجل ، يبطل ، بَطالة و بَطالة أي تعطلّ فهو بَطالٌ¹

إذن فالمعنى الأصلي لكلمة بطل هو العاطل عن العمل ، إلا أننا إذا اعتبرنا العاطل هو من لا يعمل فإن المعنى يبقى عاماً و عائماً أو بالأحرى ناقصاً إذ هناك من لا يعمل لأنه لا يستطيع أن يعمل كالصبي والهرم والمرضى وهناك أناس كثيرون لا يعملون أيضاً ولا يمكننا اطلاق وصف البطالة عليهم اصطلاحياً كالمتماعدين أو بعض الأغنياء الذين لا يسعون وراء العمل أصلاً ولهذا كله اتفق خبراء الاقتصاد عامة على تعريف العاطل البطل بأنه: " كل من هو قادر على العمل وراغب فيه ويبحث عنه و يقبله عند مستوى الأجر السائد ولكن دون جدوى"²

إن معرفة موقف الاسلام من البطالة تتطلب استعراض آراء الفقهاء قديماً وخبراء الاقتصاد الاسلامي حديثاً لتفصيل الأمر وتجليته، لكننا في هذا المبحث ارتأينا ألا نسير بهذا الاتجاه ، وإنما نفضل أن نفصل في موقف السيرة النبوية عبر كل مراحلها من قضية البطالة .

هذا، ولما كانت السيرة النبوية تجسيدا كاملا لكلام رب العالمين ونموذجا مثاليا لسنة سيد المرسلين وجب على الباحثين والمصلحين أن يبحثوا في ثناياها عن أدوية المجتمعات كلها وعن علاج مشكلاتها وعللها، وما الجانب الاقتصادي إلا أحد أوجه الحياة التي تترقب الحلول وتتوخى الأجوبة من كل ما يعرض على البشرية من أطروحات فكرية لتحقيق المشاريع النهضوية.

¹ أنظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة بطل

² د.كمال الدين المرسي : الحل الإسلامي لمشكلة البطالة ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، مصر ، ص11

من مظاهر معالجة البطالة قبل السيرة النبوية /

أولا : في الرسائل السابقة :

لما لم تكن الرسالة المحمدية إلا خاتمة المطاف لرسالات سماوية متكاملة سابقة فقد تطرقت كلها لجميع مناحي الحياة بما فيها الجانب الاقتصادي، بل كلنا يعلم أن إحدى رسالات الأنبياء السابقة وهي رسالة سيدنا شعيب عليه السلام³ مخصصة لهذا الجانب الحساس - الجانب الاقتصادي - فضلا عما كان يدعو إليه من تصحيح للعقائد والتصورات والمفاهيم ... وإذا أردنا البحث في قصص الأنبياء عن تنصيب يخصص للاقتصاد بالاشارة فنسجد أن أولى الرسائل وهي رسالة سيدنا نوح عليه السلام تضمنت في أواخرها صناعة للفلك بأمر إلهي (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا)⁴ (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ...)⁵ وهذا تمشين مبكر للعمل والصناعة إذ وصف المولى عز وجل بعض مكونات تلك الصنعة فقال سبحانه (وحملناه على ذات الواح ودسر)⁶ ومعنى الدسر المسامير⁷ ...

ونجد كذلك في الرسالة الابراهيمية أمرا عجبا وإشارة إلهية لموضوع كسب الرزق ، فالخليل ابراهيم عليه السلام قد صرح بشيخوخته في دعائه لربه (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ...)⁸

ثم وجدناه وهو يقارب المائة عام قد رزق على الكبر باسماعيل الذي باشر عملية السعي لكسب الرزق فور بلوغه في بداية العمر مع ابيه الذي كان في نهاية العمر قال تعالى (فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي ...) ⁹

هذا، وفي قصة الكليم موسى عليه السلام نجد أن المولى عز وجل قد وصف لنا عقد الإجارة الذي كان بين هذا النبي وشيخ مدين الجليل ليشغل موسى لدى هذا الشيخ مدة عشر سنين قال تعالى على لسان الشيخ : (إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ...)¹⁰

وتتواصل الرسائل الاسرائيلية بعده ليصل إلى سدة ملكها نبي الله داوود عليه السلام الذي وصفته الأحاديث النبوية الصحيحة بأنه كان " يعمل من كسب يده " ، فعن المقدم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"¹¹

³ انظر قصته في القرآن والسنة الصحيحة، صحيح قصص الأنبياء لابن كثير، سليم الهلالي ص 173-185 مؤسسة غراس الكويت 2002

ط1

⁴ هود 37

⁵ المومنون 27

⁶ القمر 13

⁷ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم 4 ص 237 المكتبة العصرية بيروت 2000 ط3

⁸ ابراهيم 39

⁹ الصافات 101-102

¹⁰ القصص 27

¹¹ البخاري، صحيح ، 2072

أما النبوات الاسرائيلية الأخيرة فإننا نجد أن نبي الله زكرياء عليه السلام كان نجارا كما أخبرتنا الأحاديث النبوية¹² بل إننا إذا صدقنا النصراني في انجيلهم المحرفة فقد كان المسيح عليه السلام نجارا ...¹³

وهكذا يحصل اليقين بأن جميع الأنبياء قد سعوا في كسب الرزق وخاصة في مهنة الرعي، ولا غرو أن يكون خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم امتدادا لمن قبله من الرسل فليس عجيبا إذن أن نجد بصرح بأنه يتبعهم في موضوع كسب الرزق حيث قال : " ما من نبي إلا رعى الغنم قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا ... " وكيف لا يكون نبينا كذلك وقد أمره ربه أن يكونوا جميعا قدوة له فقال (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)¹⁴ ليكون هو قدوة لأمته (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)¹⁵ ونبينا مأمور باتباع الملة الحنيفية الابراهيمية (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ...)¹⁶ وقال تعالى : (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس)¹⁷ .

ثانيا: في النسب النبوي

هذا كله من حيث الأثبات الروحية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، اما أبواته النسبية فإننا نجد في أحد أجداده الأقربين وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي مثلا ساطعا ونموذجا واضحا للتاجر النشط على المستوى الدولي ، فقد أرسل هاشم اخوته الثلاثة - المطلب وعبد شمس ونوفل - لعقد الاتفاقيات مع الدول والإمبراطوريات المحيطة بالعرب في المجال التجاري فتأسست حركة الإيلاف الاقتصادية وأنعشت تجارة قبيلة قريش المكية ... فضلا عما فعله هاشم من تهشيمه للثريد ليأكله الناس عندما أصابتهم المجاعة إلى أن تمكنوا من تجاوزها ، وراحوا يسمونه هاشما بعد أن كان يدعى عمرا ولذا قال الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لأهله قوم بمكة مستنون عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأضياف

ثم إن هاشما هذا قد توفي في غزة بفلسطين أثناء التجارة حيث أن قبره موجود بها إلى اليوم ، وكان قد ترك ابنه (شيبه) عند أصهاره من بني النجار (الخزرج) في يثرب (المدينة) ، فقرر المطلب أن يأتي بابن أخيه إلى مكة أثناء إحدى تجاراته وظنت قريش أن المطلب اشترى هذا الغلام ليكون عبدا من عبيده فسموه عبد المطلب ثم لما علموا بأمره أبقوا على تلك التسمية ، ولما بلغ عبد المطلب مبلغ الرجال تسلم نصيب أبيه من التجارة العظيمة التي كان يديرها الأعمام الثلاثة، ولم يكتف بذلك بل سعى للكشف عن بئر زمزم قرب الكعبة وحفرها - بعد أن طمرت ونسيت بما فيها من كنوز - وهكذا ظهرت معها كنوزها وزوجم عبد المطلب على ذلك فنذر إن آتاه الله عشرة من الذكور ليذبحن أحدهم قربانا لله والقصة في ذلك طويلة ومشهورة انتهت بافتداء أصغرهم - وهو عبد الله والد النبي - بمائة من الإبل ، ثم قام بتزويجه بأمنة بنت وهب الزهرية، وبعث

¹² الحديث في أحد الصحاح (مسلم) و أحد السنن (ابن ماجة) وأحد المسانيد (أحمد) عن أبي هريرة ... صحيح قصص الأنبياء ص443
¹³ ماكديول جوش ، نجار وأعظم ، ترجمة سمير الشوملي حياة المحبة ...

¹⁴ الأنعام 90

¹⁵ الأحزاب 21

¹⁶ الممتحنة 4

¹⁷ الحج 76

عبد المطلب ابنه هذا في تجارة نحو الشام لكنه مرض وتوفي بيثرب عند أحوال أبيه بني النجار تاركاً وراءه امرأته آمنة حاملاً بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي قال له ربه في أوائل ما أنزل عليه (... ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى ...)¹⁸ فقد ولد النبي صلى الله عليه وسلم في أجواء عائلية تشجع على السعي لكسب الرزق وتأيي الركون إلى الكسل والبطالة والخمول والعطالة ...

من مظاهر معالجة البطالة في السيرة قبل الهجرة.

أولاً: قبل البعثة:

إننا إذا أردنا البحث عن سعي النبي صلى الله عليه وسلم وراء الرزق في مطلع سيرته فإن أنظارنا تتجه ابتداءً نحو رعيه الغنم عندما كفله عمه أبو طالب ، أي عندما ناهز أو جاوز سن العاشرة ، إلا أنني وجدت نواة هذا العمل وتعلمه قد نسجته يد العناية الإلهية في اللحظات الأولى من وعي النبي لما حوله من العالم، أي حينما تواصلت نشأته في بادية بني سعد عند مرضعته حليلة والتي أبقته عندها رغم انتهاء حولين كاملين لتضيف إليهما حولين آخرين بموافقة أمه وجدده ، فلما وقعت له حادثة شق الصدر وجدنا أنه كان يتعلم رعي الغنم مع أخيه في الرضاعة ، ولم يكن هذا العمل بطبيعة الحال طلباً لكسب الرزق لأن سن الرابعة هو سن اللعب عند الأطفال لكننا نسمح لأنفسنا بالاستنتاج أن افتتاح سيرته العطرة مما وعاه وحفظته ذاكرته كان يتعلم الرعي ولو مع اللعب ، فإذا كانت رواية مسلم وغيره عن أنس قد صرحت باللعب دون ذكر للغنم : " ... أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان ... " فإن رواية عتبة بن عبد السلمي قد صرحت بالرعي حيث جاء في أولها أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال كانت حاضنتي من بني سعد فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً " لكن رواية ابن اسحاق المطولة باسناد حسن أو جيد أو رواه ثقة عند ابن حبان والطبراني و أبي يعلى والبيهقي عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أنه قال : " ... فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بهم له ... " ¹⁹ وفصلت أحاديث أخرى في رعيه بعد ذلك للغنم ثم الإبل، فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، فقالوا : وأنت ؟ قال نعم كنت أراها على قراريط لأهل مكة . " ²⁰ وروى البخاري عن جابر ومسلم وابن سعد عن التابعي أبي سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حين يرعى الغنم يجتني الكباش وهو ثمر الأراك ويتحرى الأسود منه وكان صلى الله عليه وسلم يقول عنه : هو أطيبه.

واشتغل النبي صلى الله عليه وسلم برعي الغنم إلى ما قبل البعثة إذ رعاها لأهله بأجساد حتى أنه بعث وهو يرعاها ! رواه النسائي في التفسير من طريق شعبة عن أبي اسحاق عن نصر بن حزن واسناده صحيح

¹⁸ الضحى 8.6

¹⁹ إبراهيم العلي : صحيح السيرة النبوية ص 50-54

²⁰ البخاري 2262

وفيه قول شعبة لأبي اسحاق: نصر أدرك النبي قال: نعم ، وشعبة هو القائل كفيتمكم تدليس ثلاثة فذكر أبا اسحاق. ورواه ابن سعد من رواية زهير عن أبي اسحاق مرسلا.

وروى البزار والطبراني برواة الصحيح عن أبي خالد الوالبي - وكانت له صحبة - أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتغل برعي الابل ومعه شريك له في هذا العمل.

وعمل النبي صلى الله عليه وسلم في التجارة وشارك السائب بن أبي السائب فكان صلى الله عليه وسلم له نعم الشريك لا يداري ولا يماري (أي لا يجامل ولا يجادل) رواه أبو داود واحمد باسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن عن مجاهد عن السائب...

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحضر أسواق اهل الجاهلية قبل البعثة وبعدها وسجل القرآن وصف قومه له بذلك في سياق احتجاجهم على الله أن يبعث من هذا وصفه (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ...) ومن هذه الأسواق سوق عكاظ فقد رأى مرة قس بن ساعدة الإيادي يخطب في الناس خطبته الشهيرة. رواه أبو نعيم وغيره عن سعد وبن عباس وعبادة ... وروي مرسلا كما رواه أبو نعيم وغيره بطرق أضعف عن ابن مسعود وإبي هريرة وأنس ... وروي عن الحسن البصري مرسلا، وقال ابن كثير : أصله مشهور وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات اصل القصة²¹.

ثانيا: في الدعوة المكية قبل الهجرة :

نعلم جميعا أن الدعوة المكية ابتدأت بسنوات أولى سرية، ثم كان الجهر بالدعوة ... ورغم خطورة الأمر إلا أن ذلك لم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من تعاهد أمواله وارسالها في التجارة لنيل الأرباح، ونجد ما يؤكد ذلك في قصة مطولة حول تجارة أبي سفيان في الشام وسماعه أخبارا عن اقتراب ظهور نبي آخر الزمان ... وكان من تنمة القصة على لسان أبي سفيان قوله: " ... فقدمنا مكة فقضيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجرا فكنت فيها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فبينما انا في منزلي جاءني الناس يسلمون علي ويسألون عن بضائعهم حتى جاءني محمد بن عبد الله وعندي هند تلاعب صبيائها فسلم علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام فقلت لهند والله إن هذا ليعجبني ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألتني عنها وما سألني هذا عن بضاعته فقالت هند: أو ما علمت شأنه ؟ فقلت وأنا فرع : ما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله ! فوقدتني وتذكرت قول النصراني فوجمت حتى قالت هند: ما لك ؟ فانتبهت فقلت : إن هذا هو الباطل هو أعقل من أن يقول هذا . قالت : بلى والله إنه ليقولن ذلك ويدعو إليه وإن له لصحابة على دينه. قلت هذا هو الباطل ، وخرجت فبينما أنا أطوف البيت إذ بي قد لقيته فقلت له : إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فأرسل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومي. فأبي علي وقال : إذن لا آخذها . قلت فأرسل فخذها وأنا آخذ منك ما كنت آخذ من قومي ، فأرسل إلى بضاعته فأخذها وأخذت منه ما كنت آخذ من غيري . فلم أنشب أن خرجت إلى اليمن ثم قدمت الطائف ... "

وهذه القصة جزء من خبر طويل رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر بأسانيدهم إلى معاوية بن أبي سفيان عن أبيه، وأحد الطريقتين إليه هو الشاعر الثقفي ابن الطريح عن أبيه عن جده عن مروان بن الحكم ... والطريق الثاني إليه هو الفقيه المصري الليث بن سعد عن أبي الأسود يتيم عروة عن عروة بن الزبير ... 22

من مظاهر معالجة البطالة في العهد المدني

أولاً: أثناء الهجرة:

تعتبر حادثة الهجرة حدثاً مفصلياً في السيرة النبوية بل في التاريخ الإسلامي كله، ورغم أن الاهتمام الذي كان فيه قد تركز على نجاح عملية الانتقال من مكة إلى المدينة إلا أن ضرورة السعي لكسب الرزق كانت حاضرة بوضوح في تفاصيل هذا الحدث، فقد قال ابن اسحاق : لما قرب أبو بكر الراجلي قدم له أفضلهما ثم قال اركب فذاك أبي وأمي فقال إني لا أركب بعيراً ليس لي قال فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال : لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به قال كذا وكذا وفي رواية بثمانمائة درهم قال أخذتها بذلك قال هي لك يا رسول الله ... 23

وروى البخاري والحاكم بسنده إلى الزهري عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام إلى مكة فكسى الزبير رسول الله وأبا بكر ثياباً بيضاً 24

وروى البيهقي عن موسى بن عقبة أن رسول الله لما دنا من المدينة هو وأبو بكر وقدم طلحة من الشام خرج عامداً إلى مكة لما ذكر له رسول الله وأبو بكر خرج إما متلقياً لهما وإما عامداً عمرة بمكة ومعه ثياب أهداها لأبي بكر من ثياب الشام فلما لقيه أعطاه الثياب فلبس رسول الله منها وأبو بكر ... 25

ثانياً : في الدعوة المدنية

فور نجاح الهجرة أعلن النبي صلى الله عليه وسلم عن تأسيس أول مجتمع إسلامي، إذ بناه على أساس من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ورغم أن مسلمي المدينة أثبتوا لمن هاجر إليهم صدق الأخوة والمشاركة والمساواة والمواصاة بما يملكون فإن المهاجرين الذين انبهروا لحب الأنصار لهم حرصوا على أن يكون لهم دور فاعل في الانتاج لا أن يكونوا عالة على اخوانهم الأنصار فعندما عرض سعد بن الربيع على أخيه (في إطار المؤاخاة) عبد الرحمن بن عوف أن يشاركه في ماله ونخله وحتى في أهله فقال له عبد الرحمن : بارك الله لك في اهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع

22 البداية والنهاية لابن كثير 189-187/2 صحيح السيرة للطبراني 78-74/2 وتحقيقه في الهامش 529 ص 426-429

23 ابن كثير البداية والنهاية 3 ص 154

24 البخاري 3906 سيرة ابن هشام والبداءة والنهاية لابن كثير 3 ص 152

25 د. الغضبان : المنهج التربوي للسيرة النبوية 5 التربية القيادية 2 ص 198

الغدو ... ثم جاء يوما وبه أثر صفرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مهيم ؟ (أي ما وراءك) قال تزوجت قال كم سقت إليها ؟ قال نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب... رواه البخاري في باب كيف آخى النبي بين أصحابه ... 26

وإذا جاء أحد الأنصار إلى حاكم المدينة الجديد وهو النبي صلى الله عليه وسلم يطالب بحقه في الاعتماد على بيت المال، فإن الجواب النبوي سيكون عمليا بامتياز فقد روى أبو داود واللفظ له والترمذي بسند حسن عن انس رضي الله عنه ان رجلا من الأنصار اتى النبي يسأله ، فقال أما في بيتك شيء ؟ قال بلى جلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء قال النبي صلى الله عليه وسلم : ائني بهما فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم قال من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به فأتاه به فشد فيه رسول الله عودا بيده ثم قال له : اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا و ببعضها طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجه²⁷. ويأتي صحابي من خارج المدينة من بني هلال يطالب بمساعدة الدولة له على ما ضمنه من أموال في سبيل الصلح في قبيلته، ففي الصحيح عن قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال تحملت حمالة فأتيته رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال: " أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها " ثم قال : " يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما أو سدادا من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما أو سدادا من عيش . فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا . " 28

وقد أقسم النبي على هذا المعنى في حديث مشابه رواه الترمذي عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر " 29

ويتوالى مجيء الصحابة لأخذ الأموال من خزينة الدولة فيأتيهم التعليم النبوي بلطف ليضيق عليهم هذا المجال داعيا لهم إلى تنشيط الاقتصاد ففي صحيح مسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال : " إن هذا المال حلوة خضرة فمن أخذ بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع

26 د.الغضبان: المنهج التربوي للسيرة ... 5 التربية القيادية 2 ص 285

27 أبو داود سنن 1641

28 مسلم 1044

29 الترمذي جامع 2325 قال الترمذي حسن صحيح

واليد العليا خير من اليد السفلى³⁰ وفي وسط العهد المدني - قبل العام السادس أو بعده بقليل - تصادفنا حادثة طريفة وقعت للصحابي جابر الأنصاري حيث يقول في حديثه الطويل عند الرجوع من غزوة ذات الرقاع : " ... وجعلت أحدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا أبا عبد الله أتزوجت ؟ قلت نعم قال : بكرا أم ثيبا ؟ فقلت : ثيبا قال : ألا جارية تلاعبها وتلاعبك فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي إن أبي أصيب يوم أحد وترك تسع بنات وتزوجت امرأة جامعة تلم شعتهن وتقوم عليهن قال أصبت ثم قال إنا لو قدمنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها قلت والله يا رسول الله مالنا نمارق قال أما إنها ستكون فإذا قدمت فاعمل عملا كيسا قلت افعل ما استطعت ثم قال : يعني جملك هذا يا جابر قلت : بل هو لك يا رسول الله قال لا بل بعينه قلت نعم سمني به قال إني آخذه بدرهم قلت : تغبني يا رسول الله قال لا لعمرى قال جابر فما زال يزيدني درهما حتى بلغ أربعين درهما قال أما رضيت فقلت : هو لك قال صلى الله عليه وسلم : فظهره لك حتى تقدم المدينة . فلما قدمنا صرارا أمر بجزور فنحرت فأقام به يومه ثم دخلنا المدينة فقلت للمرأة قد امرني رسول الله أن أعمل عملا كيسا قالت : سمعا وطاعة لأمر رسول الله فدونك فافعل . ثم أصبحت فأخذت برأس الجمل فانطلقت حتى أئخته عند حجرة رسول الله وجلست حتى خرج فقال أهذا الجمل ؟ قلت نعم يا رسول الله الذي اشتريت ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فأعطه أوقية وحذ برأس جملك يا ابن أخي فهو لك فانطلقت مع بلال فقال بلال : أنت ابن صاحب الشعب فقلت نعم فقال والله لأعطينك ولأزيدنك فزادني قيراطا أو قيراطين فما زال ذلك يثمر عندنا ويزيدنا الله به ونعرف موضعه حتى أصيب هاهنا (اي في الحرة) . وفي رواية البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادعوا لي جابرا قلت : الآن يرد علي الجمل ولم يكن شيء أبغض إلي منه فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد قال : الآن قدمت قلت نعم قال فدع جملك وصل ركعتين فدخلت فصليت فأمر بلالا أن يزن لي أوقية فوزن لي بلال فارجح في الميزان فانطلقت ...³¹

هذا، وفي اجراء عملي غريب يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بألا تكون العبادات - وما أدراك ما العبادات - معرقة للسعي في كسب الرزق، ففي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن معاذ كان يعطي بقومه فقراً بهم البقرة فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة فبلغ ذلك معاذ فقال إنه منافق فبلغ ذلك الرجل فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " يا رسول الله إنا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا وإن معاذ صلى بنا البارحة فقراً بالبقرة فتجوزت فرعم أي منافق " فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أفتان أنت يا معاذ (ثلاثا) اقرأ والشمس وضحها وسبح اسم ربك الأعلى و نحوها " ³²

ثم إننا إذا كنا نعلم أن الله يحب إذا عمل أحدنا عملا - أي عمل - أن يتقنه ونعلم معها أن الدين النصيحة فإن النصيح في كسب الرزق سيكون من أوكد الأمور وهذا ما أكده الحديث المروي في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم إن خير الكسب كسب يدي عامل إذا نصح . رواه أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر صحيح ... ويتكرر المعنى في أحاديث كثيرة وأغلبها من الصحيح والحسن ويلحق بها

30 مسلم 1035

31 الغضبان، 3 ص 299-300

32 البخاري واللفظ له 6106 ومسلم 465

بعض الضعيف المنجبر (الذي قد يقبل عند البعض في فضائل الأعمال والترغيب) ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

عن رافع بن خديج قال: قيل: يا رسول الله أي الكسب أطيب؟ قال: "عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور". رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط رجال الصحيح ورواه برواة ثقة عن أبي بردة بن نيار، ورواه الطبراني برواة ثقة عن ابن عمر، ورواه أحمد برواة ثقة أيضا عن أبي هريرة .

وفي حديث فيه ضعف عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب المؤمن المحترف". رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

عن ركب المصري (مختلف في صحبته) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسالة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه و الحكمة، طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله. قال في الترغيب والترهيب رواه الطبراني ورواته ثقات ...

إذن، فهنيئا في الدنيا والآخرة للمكتسب والساعي في رزقه، فله طوبى وهو طيب وأطيب، وهو صدقة مصداقا لما في السنن عن المقدم رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: " ما كسب الرجل كسبا اطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة" ³³

وعن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت قال صلى الله عليه وسلم: " إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه" ³⁴

وفي أحاديث أخرى كثيرة نجد اقتراحات نبوية عمل بها الصحابة تعطينا حلولا عملية ولو بسيطة لكنها فعالة لتنفض غبار العطالة ونرفض البطالة، ففي الصحيح عن الزبير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لأن يأخذ أحدكم أحبلا فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطي أم منع " ³⁵

وبهذا المعنى أيضا نجد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به من الناس خيرا له من ان يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول " ³⁶

³³ ابن ماجة، السنن، بسند صحيح 2138

³⁴ السنن، أبو داود 3528 والترمذي 13580 وابن ماجة 2137 بسند صحيح

³⁵ البخاري 7332

³⁶ البخاري 1470-1480 ، مسلم 1042

وليس الأمر مرتبطاً بالتجارة كخيار وحيد، بل المجالات الاقتصادية كثيرة والمبادرات متنوعة، وفي الصحيحين حث على مختلف الخيارات فعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" ³⁷

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة (النخلة الصغيرة) فليغرسها". رواه البزار ورجاله أثبات ثقات، وكأنه أراد بقيام الساعة: أمارتها فإنه قد ورد: "إذا سمع أحدكم بالدجال وفي يده فسيلة فليغرسها فإن للناس عيشاً بعد". ورواه أيضاً أحمد والبخاري في الأدب وعبد بن حميد عن أنس بسند صحيح. ³⁸

وعن خلاد بن السائب عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من زرع زرعاً فأكل منه الطير أو العافية كان له صدقة". رواه أحمد والطبراني في الكبير وإسناده حسن.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اطلبوا الرزق في خفايا الأرض". رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط بسند فيه ضعف

وعن أبي أيوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من رجل يغرس غرساً إلا كتب الله له من الأجر قدر ما يخرج من ثمر ذلك الغرس". رواه أحمد وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي وثقه مالك وسعيد بن منصور وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن أبي الدرداء أن رجلاً مر به وهو يغرس غرساً بدمشق فقال له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا تعجل علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من غرس غرساً لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له به صدقة". رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله موثقون وفيهم كلام لا يضر...

وعن السائب بن سويد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من شيء يصيب زرع أحدكم من العوافي إلا كتب الله به أجراً". رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن موسى التيمي وهو ثقة لكنه كثير الخطأ وبقية رجاله ثقات.

وعن معاذ بن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى". رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه زيان بن فائد وضعفه أحمد وغيره ووثقه أبو حاتم.

وعن حذيفة قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الناس فقال: "هلموا إلي". فأقبلوا إليه فجلسوا فقال: "هذا رسول رب العالمين جبريل صلى الله عليه وسلم نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل

³⁷ البخاري 2320 و مسلم 1553

³⁸ د. أحمد نصر الله، مختصر صحيح الجامع الصغير... رقم الحديث 978

رزقها وإن أبطأ عليها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله تعالى فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته". رواه البزار وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة ولم أجد من ترجمه وبقيّة رجاله ثقات.

وعن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن التجار هم الفجار إن التجار هم الفجار". قال رجل: يا رسول الله ألم يجعل الله البيع؟ قال: "بلى". قال: "إنهم يقولون فيكذبون ويحلفون ويأثمون". رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعبه و الحاكم في مستدرکه عن ابن شبل ورواه الطبراني عن معاوية...³⁹

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتي طالما أخبرتنا أن خلق النبي هو القرآن وأن سيرته كانت قرآنا يمشي على الأرض، ثبت في الصحيح أنها قد سئلت عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله قالت: كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة.⁴⁰

وفي صحيح مسلم عن الخليفة عمر بن الخطاب نجد قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أعطيت شيئاً من غير أن تسأل فكل وتصدق"⁴¹ وقد أورد النووي في شرحه للحديث هذا الأثر عن ابن الساعدي: استعملني عمر على الصدقة فلما فرغت منها وأديتها أمر لي بعمالة فقلت: إنما عملت لله وأجري على الله فقال: خذ ما أعطيت فإني عملت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعملني فقلت مثل قولك فقال لي صلى الله عليه وسلم: "إذا أعطيت شيئاً من غير أن تسأل فكل وتصدق."

ولكي نعلم أن سيدنا عمر كان منشغلاً في العهد النبوي بكسب الرزق ننظر إلى ما ذكره الكتاني في التراتيب الادارية في باب أن التاجر كان يتعلم والمتعلم منهم كان يتاجر... بوب البخاري في صحيحه باب التناوب في العلم فذكر فيها قول عمر كنت أنا وجار لي من الأنصار نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وإذا نزل فعل مثل ذلك، وذكر الحافظ أن عمر كان يتعاني للتجارة إذ ذاك.⁴²

أثر التوجيهات النبوية لعلاج البطالة على الصحابة بعد السيرة:

لقد عمل الصحابة بتعاليم الإسلام واتبعوا سنة سيد الأنام وتخرجوا من مدرسة النبوة متفوقين فلما انقطع الوحي انطلقوا يمثلون هذا الدين ويبلغونه للعالمين، فشرقوا بفتوحاتهم وغربوا، وانتشروا في الأرض يبتغون من فضل الله، فكانوا رضي الله عنهم امتداداً طبيعياً للسنة والسيرة مثلما كانت حياة نبيهم صلى الله عليه وسلم امتداداً طبيعياً للقرآن... ولهذا كانت تراجم الصحابة تتضمن معنى رفض البطالة ومكافحتها استمداداً من الوحي واستمراراً للهدى النبوي فقد روى الترمذي وحسنه عن صخر الغامدي رضي الله عنه عن النبي

³⁹ مختصر صحيح الجامع رقم 1096

⁴⁰ البخاري 6039

⁴¹ مسلم 1045 وانظر شرح النووي

⁴² الكتاني، التراتيب الادارية 2 ص 234

صلى الله عليه وسلم قال : اللهم بارك لأمتي في بكورها وكان صخر رجلا تاجرا وكان إذا بعث تجارة بعث أول النهار فأثرى وكثر ماله . 43

وعن علي - يعني ابن أبي طالب - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم بارك لأمتي في بكورها". روي الحديث بألفاظ متقاربة و بأسانيد متفاوتة الضعف عند البزار وأبي يعلى و الطبراني عن عبد الله (ابن مسعود و ابن عباس و ابن سلام) وعند البزار عن أنس ،وروي لدى الطبراني في معاجمه بأسانيد شديدة الضعف عن صحابة آخرين ...

وعن أم سلمة قالت: لقد خرج أبو بكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تاجراً إلى بصرى لم يمنع أبا بكر الضن رسول الله صلى الله عليه وسلم شحه على نصيبه من الشخوص للتجارة وذلك كان إعجابهم كسب التجارة وحبهم للتجارة ولم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر من الشخوص في تجارته بحبه صحبته وضمنه بأبي بكر فقد كان بصحبته معجباً لاستحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم للتجارة وإعجابه بها. رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه ورجال الكبير ثقات.

وعن عمرو بن العاص قال: بعث إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني". قال: فأتيته وهو يتوضأ فصعد في البصر ثم طأطأه فقال: "إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وأرغب لك من المال رغبة صالحة". فقلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: "يا عمرو نعماً بالمال الصالح للمرأة الصالح". رواه أحمد و الطبراني وأبو يعلى برجال الصحيح .

وهذا تابعي من العجم (الفرس) الذين أسلموا على أيدي الصحابة يقول : كنت أعمل في (الدينباد) وأعالج فيه فقدم يعلى بن أمية أميراً على اليمن وجاء معه رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني رجل ممن قدم معه وأنا في الزرع أصرف الماء في الزرع ومعه في كمه جوز فجلس على ساقية من الماء وهو يكسر من ذلك الجوز ويأكل ثم أشار إلى فنج فقال: يا فارسي هلم قال: فدنوت منه. قال الرجل لفنج: أتضمن غرس هذا الجوز على هذا الماء؟ فقال له فنج: ما ينفعني ذلك؟ فقال الرجل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأذني هاتين: "من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل". فقال له فنج: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: [نعم. قال] فنج: فأنا أضمنها فقال: فمنها جوز (الدينباد). والدينباد أرض بفارس ... رواه أحمد وفيه فنج ذكره ابن أبي حاتم ولم يوثقه ولم يجرحه وبقية رجاله ثقات.

خاتمة :

وما دمنا قد خرجنا من سياق السيرة العطرة إلى امتداداتها في ما بلغه الصحابة للأجيال الموالية من تعاليم الدين الحنيف ، وكانوا رضي الله عنهم خير ممثل للإسلام ، فالواجب أن يتوقف القلم عن الإستطراد في بيان نجاح خريجي مدرسة النبوة في المجال الإقتصادي عموما ، ومدى نجاحهم في معالجة مشكلة البطالة خصوصا .

وإني وإن كنت أدعو الباحثين للتنقيب في سير الصحابة وهم أئوف كثيرة للوقوف على جليلة الأمر فإنني في المقابل أشفق عليهم من عملية التتبع و الإستقراء في كتب التراجم كأسد الغابة لابن الأثير والإصابة لابن حجر والإستيعاب لابن عبد البر وغيرهم... لكن كتباً أخرى سهلة المنال قد جمعت في طياتها ما تناثر في الكتب السابقة حول الموضوع كما في حياة الصحابة للكاندهلوي وتخرّيج الدلالات السمعية للخزاعي

،وأخص بالذكر هنا تكملة هذا الكتاب الأخير والتي قام بها الكتاني المغربي و أقصد كتابه الماتع (التراتب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية) ففي أكثر من مئة صفحة الأولى من مجلده الثاني نجد تفصيلا لكل أنواع الحرف التي تعاطاها الصحابة سواء في عهد النبوة أو بعده إلى آخر القرن الأول الهجري .

وهكذا نخلص في الختام إلى القول بأن تعاليم الدين الإسلامي قد حرصت كل الحرص على معالجة البطالة لإصلاح عجلة الإقتصاد في المجتمعات البشرية ،ولكن آيات القرآن وأحاديث السنة لم تكن في يوم من الأيام مجرد نظريات أو محاضرات يتشدد بها الأتباع ،بل إن السيرة النبوية قد امتلأت بتطبيق الشعارات وتنفيذ التعاليم وتجسيد المثل وتحقيق الإقتراحات ...فحياة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم خير دليل عملي على ذلك.

وفي الأخير أختتم بحثي هذا بدواء روعي دلنا عليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لعلاج مشكلة البطالة يتمثل في دعاء عظيم حرص عليه الرعيل الأول وتناقلوه شفاهة وكتابة ورواية ودراسة...بل وردده في حلقات العلم وحلق الذكر فتبناه كل فرد في خاصة نفسه لاستمداد العون الإلهي أثناء مكابدة مشاق الحياة وخلال السعي لكسب الرزق لتحقيق منزلة التوكل التي ذكرها الحديث المعروف : "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا "فالطير تسعى غادية ورائحة ،والله سبحانه هو الرزاق ذو القوة المتين .و المسلم المتوكل يتحرك ويسعى لكنه لا يأسى ولا يحزن على فوات الرزق بل يكد ويجد و يتفائل ويجتهد ويعتمد على الله ويدعوه كل حين بالدعاء النبوي المشهور الذي رواه البخاري في صحيحه "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل و البخل والجبن و ضلع الدين و غلبة الرجال "

خلاصة البحث

إن دينا يهتم بالطاقات العاطلة في المجتمع لحري بالبشرية أن تتبعه فالإسلام دين لا يكتفي بالتنديد والاستنكار ولا يرفع للناس الشعار بل يؤكد على جوانب السعي لأجل تحصيل الرزق في حياة جميع أنبيائه بما فيها الرسالة المحمدية الخاتمة بدءا بالأجواء العائلية لمولد النبي من آباء وأجداد، إلى ما كان منه من سعي قبل البعثة وبعدها وقبل الهجرة وبعدها، وما كان يقترحه بنفسه على صحابته من حلول عملية للبطالة....

SUMMARY

If a certain religion was very interested about the jobless energies in the society, then the humanity should follow it. Islam doesn't only criticize and condemn yet, it emphasizes on making efforts as shown in the lives of the prophets including the last messenger Muhammed, in his background, and his efforts before and after the prophecy, also before and after emigration 'Hijra', and what he used to suggest to his companions as practical solutions to unemployment...